تحقيق النصوص بين عبد السلام هارون صلاح الدين المنجد: دراسة مقارنة في منهجية التحقيق

الأستاذ عصام محمد الشنطي- معهد المخطوطات العربية-القاهرة
م.عمر عبد عواد الدليمي-كلية الامام الاعظم-الرمادي

المستخلص

لقد وضع العلماء كثيراً من المؤلفات حول قواعد تحقيق المخطوطات ونشرها، وتنوعت المقاصد منها، ومن بين تلك المؤلفات، كتاب (تحقيق النصوص ونشرها) للدكتور عبد السلام هارون، وكتاب (قواعد تحقيق المخطوطات) للدكتور صلاح الدين المنجِّد. ونظراً لأهمية هذين الكتابين، قررت دراستهما والبحث فيهما، وسميت بحثي فيهما: **(تحقيق النصوص بين الدكتور عبد السلام هارون والدكتور صلاح الدين المنجد).**

وقد بينت في هذا البحث معالم من حياة الدكتور عبد السلام هارون، والدكتور صلاح الدين المنجِّد، كما وقد بينت معالم من الكتابين، مع بيان مناسبة تأليف كل منهما، وبيان موضوعاتهما، وأهمية كل منهما ومعالجاته، وبعد ذلك كله بينت سبب الصدام بين الدكتور عبد السلام والدكتور المنجِّد، مع بيان مميزات وإيجابيات كل من الكتابين، ثم ختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث.

الكلمات الداله: تحقيق النصوص، دراسات منهجية، دراسات مقارنة، عبد السلام هارون، صلاح الدين المنجد

Abstract

Scholars wrote many books on the rules of manuscripts editing and publishing. But these works differ greatly. Major among these works are Manuscripts Editing and Publishing by Dr. Abdul-Salaam Haroun and Rules of Manuscripts Editing by Dr. Salah-Eldin Al-Munjid. In view of the great importance of these two books. This paper studies them comparatively.

This paper deals with biographical aspects of these two authors, their two books, occasion of composition, subjects, and methodologies. The paper also deals with the clash between these two authors as evident in these two books. A comparative analysis is conducted to clarify their methodologies and their strengths and drawbacks.

Key Words: Textual Editing, Methodology, Comparative Studies, Abdul-Salaam Haroun , Salah-Eldin Al-Munjid

المقدمة

الحمد لله الذي بفضل هدايته تحقق الإيمان، وبواسع رحمته نشر العدل والإحسان، فكانت نصوص الكتاب هداية لكل عبد يبتغي الرضا والخوف من الرحيم الرحمن، لك الحمد يا رب على نعمائك وأفضالك أن وهبنا الصحة والتمكن للسير في طريق العلم، الذي تضع الملائكة أجنحتها رضا لطالبه ومبتغيه، والصلاة والسلام على محمد سيد البشر -صلى الله عليه وسلم-، والرضا عن صحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد:

فإن علم تحقق النصوص من العلوم القائمة بذاتها، ويعد من أهم العلوم وأدقها، إذ لا يبرع فيه أي شخص، إلا من تحصلت لديه مواصفات خاصة تؤهله للقيام بهذه المهمة النبيلة، التي تمتاز أحياء التراث المكنون، مما خلفه لنا أجدادنا وأسلافنا العظام.

ومن هنا تأتي أهمية الاشتغال بهذا العلم، علماً وعملاً، ولعل أهميته التحقيق تمكن أيضاً في كونه وسيلة للحفاظ على التراث، وصد التحريف والانتحال عنه، ووسيلة وصل الحاضر به، وإخراجه متعانقا فيه المضمون مع الثوب الزاهي.

وهذا ما يؤكد شرف هذا العلم، الذي لا يتجاهل فضله إلا الجاهلون، ولا ينتقص من قدره إلا المتنطعون، بل هو قرين للفكر الحر، وملازم له، يقول الجاحظ عنه: ((ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفاً أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني، أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام)). وهذا إن دل على شيء يدل على مدى أهميته وشرفه ، بل وصعوبته.

وإن من الجدير بالذكر هنا أن جهوداً ضافية قدمت لبيان الخطوات المنهجية التي ينبغي اتباعها، والاهتداء بها في خوض غمار هذا العلم من أجل الوصول إلى نص محقق تحقيقاً علمياً رصيناً، فضلا عن دراسته دراسة علمية ودقيقة ومستوعبة.

وكان من بين تلك المحاولات ما قدمه العلّامة الدكتور (عبد السلام محمد هارون) الذي قام بجهود رائعة في تدعيم هذا العلم ومحاولة تأصيله، في كتاب سمّاه (تحقيق النصوص ونشرها) الذي وُصِف بأنه الكتاب العربي الأول الذي يوضح مناهج هذا العلم ويعالج مشكلاته.

وفي هذه الصفحات القادمة دراسة تحتوي على مفردات تتعلق بدراسة هذا الكتاب، مع مقارنته بغيره من الكتب التي عالجت مواضيع هذا العلم أيضاً.

وقد قسمت تلك الدراسة إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة تضمنت أهم النتائج والاستنتاجات. وكل مبحث من تلك المباحث الثلاثة يحتوي على مطالب، يحتوي كل مطلب منها على فروع، تتالت موضوعات عديدة، مما يتعلق بكتابي الدكتور عبد السلام محمد هارون، والدكتور صلاح الدين المنجد.

سائلا الباري جل جلاله أن يكرمنا بالإخلاص في القول والعمل، وأن يتقبل ما نقدمه، وأن يبارك لنا فيه، وأن ينفع به، إنه سميع مجيب.

المطلب الأول
معالم من حياة عبد السلام هارون

في هذا المبحث نريد أن نركز فيه على ترجمة الأستاذ الدكتور عبد السلام هارون موضحين فيها بعض التفصيلات التي تخص ملامح حياته، مبتغين فيها الاختصار، وعدم الاطالة، وذلك وفق العنوانات الآتية:

المولد والنشأة:

ولد عبد السلام هارون في مدينة الإسكندرية في (٢٥ ذي الحجة/ ١٣٢٦هـ الموافق لـ/١٨/كانون الثاني- يناير / ١٩٠٩م)، ونشأ في بيت كريم من بيوت العلم، فجده لأبيه هو الشيخ هارون بن عبد الرازق عضو جماعة كبار العلماء، وأبوه هو الشيخ محمد بن هارون كان يتولى عند وفاته منصب رئيس التفتيش الشرعي في وزارة الحقانية (العدل) وعمه هو الشيخ أحمد بن هارون الذي يرجع إليه الفضل في إصلاح المحاكم الشرعية ووضع لوائحها، أما جده لأمه فهو الشيخ محمود بن رضوان الجزيري عضو المحكمة العليا.

وقد عني أبوه بتربيته وتعليمه، فحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، والتحق بالأزهر سنة (١٣٤٠هـ - ١٩٢١م) حيث درس العلوم الدينية والعربية، ثم التحق في سنة (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م) بتجهيزية دار العلوم بعد اجتيازه مسابقة للالتحاق بها، وكانت هذه التجهيزية تعد الطلبة للالتحاق بمدرسة دار العلوم، وحصل منها على شهادة البكالوريا سنة (١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م) ثم أتم دراسته بدار العلوم العليا، وتخرج فيها سنة (١٣٥١هـ -١٩٤٥م).

الوظائف العلمية:

وبعد تخرجه عمل مدرساً بالتعليم الابتدائي، ثم عين في سنة (١٣٦٥هـ-١٩٤٥م) مدرساً بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وهذه هي المرة الوحيدة في تاريخ الجامعات التي ينتقل فيها مدرس من التعليم الابتدائي إلى السلك الجامعي، بعد أن ذاعت شهرته في تحقيق التراث، ثم عين في سنة (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م) أستاذًا مساعدا بكلية دار العلوم، ثم أصبح أستاذاً ورئيساً لقسم النحو بها سنة (١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م) ثم دعي مع نخبة من الأساتذة المصريين في سنة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) لإنشاء جامعة الكويت، وتولى هو رئاسة قسم اللغة العربية وقسم الدراسات العليا حتى سنة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م)، وفي أثناء ذلك اختير عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

النشاط العلمي:

بدأ عبد السلام هارون نشاطه العلمي منذ وقت مبكر، فحقق وهو في السادسة عشرة من عمره كتاب "متن أبي شجاع" بضبطه وتصحيحه ومراجعته في سنة (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م)، ثم حقق الجزء الأول من كتاب "خزانة الأدب" للبغدادي سنة (١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م)، ثم أكمل أربعة أجزاء من الخزانة وهو طالب بدار العلوم.

كانت هذه البدايات تشير إلى الاتجاه الذي سيسلكه هذا الطالب النابه، وتظهر تعلقه بنشر التراث، وصبره وجلده على تحمل مشاق المراجعة والتحقيق، وبعد تخرجه في دار العلوم اتجه إلى النشر المنظم، فلا تكاد تخلو سنة من كتاب جديد يحققه أو دراسة ينشرها.

ولنبوغه في هذا الفن اختاره الدكتور طه حسين سنة (١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م) ليكون عضوا بلجنة إحياء تراث أبي العلاء المعري مع الأساتذة: مصطفى السقا، وعبد الرحيم محمود، وإبراهيم الإبياري، وحامد عبد المجيد، وقد أخرجت هذه اللجنة في أول عهدها مجلدا ضخما بعنوان: "تعريف القدماء بأبي العلاء"، أعقبته بخمسة مجلدات من شروح ديوان "سقط الزند".

وتدور آثاره العلمية في التحقيق حول العناية بنشر كتب الجاحظ، وإخراج المعاجم اللغوية، والكتب النحوية، وكتب الأدب، والمختارات الشعرية.

أما كتب الجاحظ -أمير البيان العربي- فقد عني بها عبد السلام هارون عناية فائقة، فأخرج كتاب "الحيوان" في ثمانية مجلدات، ونال عن تحقيقه جائزة مجمع اللغة العربية سنة (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م)، وكتاب البيان والتبيين في أربعة أجزاء، وكتاب "البرصان والعرجان والعميان والحولان" و"رسائل الجاحظ" في أربعة أجزاء، وكتاب" العثمانية".

وأخرج من المعاجم اللغوية: معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس في ستة أجزاء، واشترك مع أحمد عبد الغفور العطّار في تحقيق "صحاح العربية" للجوهري في ستة مجلدات، و"تهذيب الصحاح " للزنجاني في ثلاثة مجلدات، وحقق جزأين من معجم "تهذيب اللغة" للأزهري، وأسند إليه مجمع اللغة العربية الإشراف على طبع "المعجم الوسيط".

وحقق من كتب النحو واللغة كتاب سيبويه في خمسة أجزاء، وخزانة الأدب للبغدادي في ثلاثة عشر مجلداً، ومجالس ثعلب في جزأين، وأمالي الزجاجي، ومجالس العلماء للزجاجي أيضا، والاشتقاق لابن دريد.

وحقق من كتب التاريخ: "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم، و"وقعة صفين" لنصر بن مزاحم، وكان من نتيجة معاناته وتجاربه في التعامل مع النصوص المخطوطة ونشرها أن نشر كتاباً في فن التحقيق بعنوان: "تحقيق النصوص ونشرها" سنة (١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م)، فكان أول كتاب عربي في هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته، ثم تتابعت بعد ذلك الكتب التي تعالج هذا الموضوع، مثل كتاب: "مقدمة في المنهج" للدكتورة بنت الشاطئ، و"منهج تحقيق النصوص ونشرها" لنوري حمودي القيسي وسامي مكي العاني، و"تحقيق التراث العربي" لعبد المجيد دياب.

أما عن مؤلفاته فله: "الأساليب الإنشائية في النحو العربي"، و"الميسر والأزلام"،و"التراث العربي"، و"حول ديوان البحتري"، و"تحقيقات وتنبيهات في معجم لسان العرب"، و"قواعد الإملاء"، و"كناشة النوادر"، و"معجم شواهد العربية"، و"معجم مقيدات ابن خلكان". وعمد إلى بعض الكتب الأصول فهذّبها ويسرها، من ذلك: "تهذيب سيرة ابن هشام"، و"تهذيب إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي، و"الألف المختارة من صحيح البخاري"، كما صنع فهارس لمعجم تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري في مجلد ضخم.

وخلاصة القول أن ما أخرجه للناس من آثار سواء أكانت من تحقيقه أو من تأليفه تجاوزت (١١٥) كتاباً، وقد توج عبد السلام هارون حياته بأن نال جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب

العربي سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م)، وانتخبه مجلس مجمع اللغة العربية أمينا عاما له في (٣/ربيع الآخر/ ١٤٠٤هـ الموافق ٧/ كانون الثاني، يناير/ ١٩٨٤م)، واختاره مجمع اللغة العربية الأردني عضو شرف به.

وظل الشيخ يعمل في خدمة التراث في صبر وجلد ينجز بهما الأعمال العلمية المضنية على اختلاف مناحيها وكثرة تشعبها، تمده ثقافة عربية واسعة، وبصر بالتراث، ونفس وثابة، وروح إسلامية عارمة تستهدف إذاعة النصوص الدالة على عظمة التراث العربي، وتكشف عن نواحي الجلال فيه.

وإلى جانب بهذا النشاط في عالم التحقيق كان الأستاذ عبد السلام هارون أستاذاً جامعياً متمكناً، تعرفه الجامعات العربية أستاذاً محاضراً ومشرفاً ومناقشاً لكثير من الرسائل العلمية التي تزيد عن (٨٠) رسالة للماجستير والدكتوراه.

وفاته:

توفي عبد السلام هارون في (٢٨/شعبان/١٤٠٨هـ الموافق لـ ١٦/نيسان، إبريل/١٩٨٨م) بعد حياة علمية حافلة، وخدمة للتراث جليلة(١).

المطلب الثاني
معالم من كتاب
(تحقيق النصوص ونشرها)
الفرع الأول
مناسبة تأليف الكتاب

يؤكد الأستاذ الدكتور عبد السلام هارون على مناسبة تأليفه لهذا الكتاب، إنما اختمرت عنده بعدما ظفر كتابان من كتبه التي حققها بالجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي سنة (١٩٤٩-١٩٥٠م). يقول الدكتور عبد السلام هارون: ((كنت منذ ذلك الحين أعاود الكتابة بين الفينة والأخرى إلى أن كان صيف هذا العام [١٩٥٤م] إذ اقترح الزميل الجليل الأستاذ أحمد الشايب أن أقوم بإلقاء عدة محاضرات في هذا الفن على طلبة (الماجستر) بكلية دار العلوم، فكانت أول مرة في جامعاتنا المصرية الحديثة يعالج فيها هذا الضرب من تلك الدراسة الفنة، وكان للأستاذ الشايب بذلك فضل كبير في أن ترى كتابي النور(٢).

ولعل تأليف هذا الكتاب يأتي بعد مناشدات طالما ناشدها الدكتور عبد السلام هارون، ورفع صوته صارخاً بها، من أجل تحقيقها، وبالتالي جاء هذا الكتاب بعد أن تحققت أمنية طالما تمناه -رحمه الله تعالى- وقد كان يقول: ((وقد نادت في مقدمة إحدى منشوراتي(٣) أن تلتزم كلياتنا الجامعية ذات الطابع الثقافي الإسلامي تكليف طلبة الدراسات العالية أن يقوم كل منهم بتحقيق مخطوطات يمت بصلة إلى الموضوع الرسالة التي يتقدم بها... وعسى أن يأتي اليوم، فننعم بكثير من المتع الثقافية التي حالت بيننا وبينها هذه الحرب العلمية الظالمة))(٤).

الفرع الثاني
أهم موضوعات الكتاب

احتوى كتاب الدكتور عبد السلام هارون على موضوعات متعددة، تناول من خلالها نقاطاً عديدة، وأريد هنا أن ألخص أهم موضوعات الكتاب الأساسية، حتى يكون ذلك مسلكاً واضحاً لمعرفة أهمية الكتاب، التي ستأتي في الفرع القادم– إن شاء الله تعالى-.

- لقد تناول المؤلف الشيخ عبد السلام هارون أول ما تناول في كتابه كيفية وصول الثقافة العربية إلينا، مشيراً إلى أن الثقافة العربية اقترنت منذ اللحظة الأولى بالحرص الدقيق، والدقة الكاملة والأمانة البالغة، على اعتبار أن الدين كان يدعو إلى ذلك، ولأن كثيراً من نصوص الكتاب والسنة كان شاهداً على شواهد التشريع، حيث كان القوم يلتزمون الأمانة والحرص في الرواية والتبليغ والتدوين. وفضلاً عن ذلك فقد فصل الدكتور عبد السلام هارون القول في معرفة أوائل النص المكتوب، وأوائل التصنيف في فترة الإسلام(٥).
- وتناول المؤلف أيضاً موضوع (الوَرَق الوَّراقون) وفصّل القول فيه، ونقل نقولات متنوعة عن الأئمة الكبار الذين اعتنوا بهذا الموضوع، ممن أولاه أهمية في مؤلفاتهم ودراساتهم، فقد نقل عن ابن النديم، والعلامة ابن خلدون، والجهشياري، والقلقشندي، والجاحظ، وغيرهم. وتوصل المؤلف من خلال تلك النقولات إلى أن الجلود كانت مستعملة في العراق وما جاوره من كتابة دواوين العلم، حتى القرن الثالث الهجري، أما في مصر فقد كان ورق البردي هو المادة الشائعة في الكتابة إلى أن حّلت الجلود ثم الأوراق(٦).
- وتطرق المؤلف -رحمه الله- إلى موضوع الخطوط، وأكد بأن الخط الذي كان غالباً عند أهل القرون الثلاثة الأولى هو الخط الكوفي، وأنه قد مزج الخط الكوفي بالخط الحديث في أواخر خلافة بني أمية، وصدر الدولة العباسية.
- ثم ينتقل العلامة عبد السلام هارون إلى موضوع تحقيق النصوص، وقد أسهب فيها وفصلها تفصيلاً جيداً، ويوضح بأن أعلى النصوص وأفضلها إنما هي (النسخة الأم) التي يكتبها المؤلف بخط يده، أو التي أملاها أو أجازها، ويكون في النسخة مع ذلك ما يفيد اطلاعه عليها أو إقراره لها. ثم تلي النسخة (الأُم) النسخة المأخوذة منها، ثم فرعها، ثم فرعها، وهكذا.. ويوضح المؤلف أيضاً النوع الآخر فيما يتعلق بهذا الموضوع، ويصفه بالأبناء الأدعياء، وهي الأصول القديمة المنقولة في أثناء أصول أخرى.. وتليها النسخة المطبوعة التي فقدت أصولها أو تعذر الوصول إليها، وهي التي يهدرها كثير من المحققين، في حين يعدها بعضهم أصولاً ثانوية في التحقيق.. وأما المصورات من النسخ فهي بمنزلة أصلها، ما كانت الصورة واضحة تامة تؤدي أصلها كل الأداء، فمصورة النسخة الأولى هي نسخة أولى، ومصورة الثانوية ثانوية، وهكذا.

- ثم يتناول المؤلف -رحمه الله تعالى-، كيفية جمع النصوص، وفحص النسخ، ويؤكد في المسألة الأولى على أنه من غير المضمون أن يعثر المحقق على جميع المخطوطات التي تخص كتاباً واحداً، إلا على وجه تقريبي، فمهما أجهد المحقق نفسه للحصول على أكبر مجموعة من المخطوطات، فإنه سيجد وراءه معقباً، يستطيع أن يُظهر نسخاً أخرى من كتابه. أما في المسألة الثانية، فإن فاحص المخطوطة يستطيع بدراستها أن يزن المخطوطة ويقدرها قدرها، من حيث دراسةُ ورقها ليتمكن من تحقيق عمرها، ودراسة المداد الذي كتبت به، فيتضح له قرب عهده أو بعده، وكذلك دراسة الخط؛ لأن لكل عصر نهجاً خاصاً في الخط، ونظام كتابته، يستطيع الخبير الممارس أن يحكم في ذلك بخبرته.. ومما يجب على فاحص المخطوطة أن ينظر إلى أبواب الكتاب وفصوله وأجزائه، حتى يستوثق من كمال النسخة وصحة ترتيبها، وأن ينظر كذلك في خاتمة المخطوطة لعله يتبين اسم الناسخ وتاريخ النسخ وتسلسل النسخة.
- ثم ينتقل المؤلف ليوضح ما يتعلق بالتحقيق، وهنا يوضح -رحمه الله -بأن مصطلح (التحقيق) مصطلح معاصر، ويقصد به بذل عناية خاصة بالمخطوطات، حتى يمكن التثبت من استيفائها لشرائط معينة.. فالكتاب المحقق: هو الذي صح عنوانه، واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه.. وعلى هذا فإن التحقيق ينبغي أن يتناول أربعة أمور: (الأول) تحقيق عنوان الكتاب. (الثاني) تحقيق اسم الكتاب. (الثالث) تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه. (الرابع) تحقيق متن الكتاب حتى يظهر مقارباً لنص مؤلفه.
- ويتحول المؤلف بعد ذلك إلى موضوع (التصحيف والتحريف) اللذين يعدان أكبر آفة علمية منيت بها الآثار العلمية، إذ لا يكاد يسلم منها كتاب، وينقل أقوال بعض العلماء في التفريق بين المصطلحين، في كون المصحف هو المخالفة التي تحصل في النقط مع بقاء صورة الكلمة، والمحرف أن تقع المخالفة في شكل الكلمة.. ويبين -رحمه الله- بأن أقدم كتاب وضع في توضيح هذين المصطلحين هو كتاب أبو أحمد العسكري.
- أما موضوع معالجة النصوص، فتشمل على موضوعات كثيرة من أهمها (ترجيح الروايات) وذلك حينما تجلب إلينا النسخ صوراً شتى من الروايات، وفي كثير من الأحيان نجد بعض النسخ قد انفردت بزيادات لا نجدها في النسخ الأخرى. وهذه الزيادات ينبغي أن يوضع تحت الفحص والخبرة، ليحكم المحقق بمدى صحتها وانطباقها على سياق النسخة وأسلوب المؤلف.
- و(تصحيح الأخطاء) من الموضوعات المهمة في معالجة النصوص، غير أن الأمانة العلمية تقتضي أن يشير المحقق في الحاشية إلى النصوص التي عالجها لينتزع الصواب من بينها، وأن لا يغفل الإشارة إلى الروايات الأخرى التي قد يجد القارئ فيها وجهاً أصوب من الوجه التي ارتآه(٧).
- ثم ينتقل العلامة عبد السلام هارون إلى الحديث عن (الزيادة والحذف)، ويبين بأنهما من أخطر ما تتعرض له النصوص، ويؤكد بأن مذهب الأقدمين هو أن يلحق بالكتاب ما هو ضروري متعين لإقامة النص، وخاصة في نصوص الأحاديث الشريفة.. غير

أن الضروري معرفة أن الزيادات الخارجية التي يقصد بها توضيح الكلام وإشباعه لا يصح أن تكون في منهج أداء النص، وللمحقق أن يشير في الحاشية إلى ذلك الضرب من الزيادة، فما هو إلا ضوء جانبي يعين على تجلية الصورة وتضويئها، وليس من حقيقة الصورة في شيء(٨).

- ثم يأتي موضوع (التغيير والتبديل) ويؤكد الدكتور عبد السلام هارون في مؤلفه بأن إحداثهما في النسخة العالية يخرج بالمحقق عن سبيل الأمانة العلمية، ولا سيما التغيير الذي ليس وراءه إلا تحسين الأسلوب، أو تنميق العبارة، أو رفع مستواها في نظر المحقق، فهذه تعد جناية علمية صارخة، إذا قرنها صاحبها بعدم التنبيه على الأصل، وهو أيضاً انحراف جائر عما ينبغي إذا قر ذلك بالتنبيه(٩).
- أما المكملات الحديثة للتحقيق، فيشير المؤلف إلى توضيحها من خلال الآتي: **(أولاً): تقديم النص،** ويقتضي ذلك التعريف بالمؤلف، وبيان عصره ويقتضي كذلك عرض دراسة خاصة بالكتاب وموضوعه وعلاقته بغيره، وكذلك تقديم دراسة فاحصة لمخطوطات الكتاب، مقرونة بالتحقيق العلمي الذي يؤدي إلى صحة الكتاب والاطمئنان إلى متنه. **(ثانياً) العناية بالإخراج الطباعي،** ويتناول ذلك القول في إعداد الكتاب للطبع، ومعالجة تجارب الطبع معالجة دقيقة، ويشمل مراجعة دقيقة ومنسقاً تنسيقاً تاماً، ومعلماً بعلامات الترقيم. **(ثالثاً): صنع الفهارس الحديثة،** وهي في غاية الأهمية؛ إذ بدونها تكون دراسة الكتب عسيرة كل العسر، فالفهارس تفتش ما في باطنها من خفيات يصعب التهدي إليها، كما أنها معيار توزن به صحة نصوصها بمقابلة ما فيها من نظائر، قد تكشف عن خطأ المحقق أو سهوه. **(رابعاً): الاستدراك والتذييل،** ولا يعدو الأمر مهما أجهد المحقق نفسه وفكره في إخراج الكتاب أن تفوته بعض التحقيقات أو التوضيحات، أو يزلَّ فكره أو قلمه زلة تقتضي المعالجة.
- ثم يوضح المؤلف- رحمه الله -في آخر كتابه موضوع صعوبات تحقيق النص، والعناء الذي قد يواجهه المحقق بسبب رداءة المخطوط، التي قد تكون في بعض الأحيان بسبب نوع الخط الذي كتب به، أو من حيث التحريف والتصحيف، أو من حيث تعرضه لعوامل البلى والتآكل، أو انطماس بعض كلماته. وهكذا

الفرع الثالث

أهمية الكتاب ومعالجاته

تأتي أهمية هذا الكتاب الذي كتبه الأستاذ الدكتور عبد السلام هارون كونه يمتاز بمجموعة من النقاط التي تجعله كتاباً يحتوي على أهمية بالغة، منها:

(١) كونه يأتي ثمرة لكفاح طويل، وجهاد صادق، وتجارب طال عليها المدى ساعفتها عين طلعة ناظرة إلى ما يصنع صاحبها وما يصنع الناس، فكان له من ذلك ذخر أمكنه أن يفتشه ويبحث في جنابته، ليرى وجه الحق فيما يرى، وأن يؤلف من ذلك كتاباً يعتز به ويغتبط اغتباطاً، إذ هو (أول كتاب عربي) يظهر في عالم الطباعة معالجاً هذا الفن العزيز: فن تحقيق النصوص ونشرها.

(٢) إن هذا الكتاب يمثل خلاصة لفكر طويل وعريض، قضى صاحبه مشواراً يمتد إلى سنين عديدة محققاً ومؤلفاً لشتى أنواع المخطوطات التي تتنوع إلى علوم متعددة. وبالتالي كان هذا الكتاب ما يشبه الملخص الفعلي لعلم التحقيق الذي يحتاج تأصيله إلى رجل محقق ومدقق يمتلك خبرة طويلة، تؤهله للقيام بهذه المهمة التي لا يرتقي لها إلا أهلها.
(٣) ولعلَّ ما يزيد من أهمية الكتاب أنه يحتوي على ترجيحات وآراء لمؤلفه الراحل، الذي خاض غمار هذا العلم، ومن ترجيحاته التي ضمنها كتابه. وبالتالي يعطي هذا البعد تأثيراً مهماً، تتضح من خلالها عصارة الفكر الذي ضمنه الدكتور عبد السلام هارون في كتابه هذا.
(٤) ومما يزيد من أهمية الكتاب أنه كان مفتاحاً لهذا الفن والولوج في دواخله، وخوض غمار التأليف فيه، إذ كانت محاولة المؤلف –رحمه الله تعالى- محاولة جادة لإبراز معالم هذا العلم، الذي يعد هذا الكتاب طريقاً مستقيماً يمكن السير فيه، والوصول من خلاله إلى جادة إخراج النص محققاً ومدققاً.

المبحث الثاني
الدكتور صلاح الدين المنجد
وكتابه (قواعد تحقيق المخطوطات)
المطلب الأول
معالم من حياة صلاح الدين المنجِّد

لعلَّ أفضل طريق لمعرفة تفاصيل حياة الشخص هو استقاؤها من الشخص نفسه، وهذا ما يزيد في دقة المعلومات، تجنباً لأي هفوة قد يقع فيها الباحث أو الكاتب.
وقد تحدث الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد عن حياته وساق كثيراً من التفصيلات الدقيقة في هذا الجانب. وبغية للاختصار أورد جملاً مهمة من تلك النصوص التي سطّرها عن نفسه:
قال الدكتور صلاح الدين المنجِّد عن نفسه: ولدت في دمشق، في حي مشهور جداً هو حي القيميرية، جنوب المسجد الأموي، في زقاق الصواف. وأسرتُنا قديمة جداً بدمشق.
وقد نشأتُ في بيت يرفرف عليه القرآن الكريم. وتجدون ترجمة كاملة لسيدي الوالد وشيوخه وتلاميذه في ذيل كتاب دور القرآن بدمشق، الذي حققته ونشرته ذكرى له.
وكانت دراستي الابتدائية في مدرسة (البحصة) وهي مدرسة مشهورة. أما الثانوية فقد بدأت فيها في (مكتب عنبر) ثم انتقلت إلى الكلية العلمية الوطنية. وبعد نيلي الشهادة الثانوية انتسبت إلى دار المعلمين العليا، فلما تخرجتُ منها عينتُ سكرتيراً للتعليم العالي والفني في وزارة المعارف. وطمحت نفسي إلى ما هو أعلى من التعليم والسكرتارية، فانتسبت إلى معهد الحقوق، كي أدرس القانون ففعلت.
وقد تدرجت في وظائف مختلفة وكنت في بادئ الأمر سكرتيراً للتعليم العالي، ثم رئيساً لديوان وزارة الإعاشة، ثم رئيساً لديوان مديرية الآثار القديمة، بعد مسابقة أُجريت وكنت الأول فيها، ثم مديراً للآثار بالوكالة، ثم مديراً للعلاقات الثقافية والبعثات في وزارة المعارف. وتاقت نفسي إلى نيل الدكتوراه. فأوفدتُ في بعثة إلى باريس وهناك حصلت على الدكتوراه في القانون الدولي العام، وفي التاريخ.

وتابعت دروساً في علم المكتبات وعلم الخطوط (الباليوغرافيا)، وترددت على متحف اللوفر لدراسة الفن الإسلامي.

وعندما عدتُ رُشّحتُ للعمل في جامعة الدول العربية فكنت مديراً لمعهد المخطوطات العربية ثم مستشاراً، وكانت السنوات التي قضيتها في المعهد من أخصب السنوات في حياتي عملاً وإنتاجاً، وقد أتاحت لي زيارة مكتبات العالم التي تحتوي مخطوطات عربية وانتقاء الجيد منها، وتصويره بالميكروفيلم ليكون في المعهد يرجِع إليه العلماء والباحثون. وبقيتُ في الجامعة العربية حتى عام (١٩٦١ م) وقد أصبح لمعهد المخطوطات شهرة عالمية في البلاد العربية والغربية.

وكان في القاهرة معهد للمخطوطات العربية، وكان مديره الدكتور يوسف العش، وهو عالم سوري، قد أنهى عمله فيه. فرُشّحْتُ أن أكون مديراً. وأيد الترشيح الرئيس فارس الخوري رئيس الوزراء، وسفيرنا في مصر الدكتور نجيب الأرمنازي فوافق عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية على ذلك. وكانت مهمة المعهد عظيمة وواسعة وثقيلة.

ووضعت قواعد لتحقيق المخطوطات العربية بعد أن رأيتُ أن المحققين لا ينهجون نهجاً علمياً صحيحاً، وقدمت هذه القواعد إلى مؤتمر المجامع العلمية المنعقد بدمشق عام (١٩٥٦م)، وأقرتها لجنة تحقيق المخطوطات، وقد تُرجمت هذه القواعد فيما بعد إلى لغات كثيرة منها الفرنسية والإنكليزية، والإيطالية، والإسبانية، والتركية، والفارسية.

وفي خلال عملي في معهد المخطوطات انتخبتُ عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة، في (٢٣ إبريل ١٩٥٦ م)، وكان أمين عام المجمع يومئذٍ العلّامة المرحوم الدكتور منصور فهمي.

وحاضرت في معهد الدراسات العربية العليا في عام (١٩٥٧ م). وكان مديره الأستاذ الكبير شفيق غُربال.

ودعيت إلى إلقاء محاضرات في جامعة فرانكفورت. وكان مدير الدراسات العربية فيها المستشرق الكبير هلموت ريتّر.

وانتُخبتُ عضواً في المعهد الألماني للآثار في برلين عام (١٩٥٨ م). وفي عام (١٩٥٩م) طلبت جامعة برنستون (Princeton) في نيوجرسي، في الولايات المتحدة، من جامعة الدول العربية إعارتي لها كأستاذ زائر خلال العام الدراسي (١٩٥٩-١٩٦٠ م)، فأتيح لي خلال عام الاطلاع على المخطوطات في جامعة برنستن، وفي مكتبات الجامعات الأمريكية، وفي المتاحف والمكتبات الخاصة، ووضعت لكثير منها فهارس لم تُنشر بعد.

المطلب الثاني
معالم من كتاب
(قواعد تحقيق المخطوطات)
الفرع الأول
مناسبة تأليف الكتاب

يعود تاريخ تأليف الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجِّد مؤلفه الذي سمّاه (قواعد تحقيق المخطوطات(١٠)) إلى منتصف القرن الماضي، وبالتحديد في عام (١٩٥٥م)، حينما كان مديراً لمعهد المخطوطات العربية في القاهرة.

وجدير بالذكر هنا أنَّ الدكتور صلاح الدين المنجد عمل مديراً لمعهد المخطوطات العربية، وكان له الأثر الضخم في إقامة صرح المعهد، وكان المعهد في أيامها شعلة نشاط وخلية نحل ومنارة علم، وكان خبيراً بالمخطوطات، مما جعله مؤهلاً لأن يجلب للمعهد نفائس ونوادر، وكانت له مهابة عند الناس وقدر، لاشتغاله بعلم لمخطوطات وتحقيق الكتب، وطارت للمعهد في أيامه شهرة، وقصده الناس وهذه من السنن التي لا تتخلف، يكسب الرئيس النابه العارف عمله مهابة مستمدة من مهابته هو، وموصولة بها.

وقد كان مجيئ المنجِّد حلقة من سلسلة متعاقبة من العلماء الكبار الذين كان لهم الفضل في صلابة المعهد وقوته، فقد جاء بعد المدير الأول للمعهد وهو الدكتور يوسف بن رشيد العش السوري، الذي يعد أول من تخصص في تنسيق الكتب والوثائق في سورية، وانتدب لإدارة معهد المخطوطات عقب إنشائه، فمكث به نحو خمس سنوات، شارك في إرساء أساسه ووضع قواعده، وخرج في بعثاته الأولى، فكان له فضل المشاركة في انتقاء مجموعاته الأولى من المخطوطات.

وأتى بعد المنجِّد عالم كبير آخر وهو الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب، الذي كان آية في معرفة الكتاب العربي المخطوط والمطبوع، ويعرفهما كما يعرف الناس آباءهم، حتى قالوا عنه: إنه كان يشم رائحة المخطوط النفيس من مكان بعيد، ويقع عليه كما يقع الصائد على فريسته لا يفلتها.

وقد عمل بمعهد المخطوطات منذ إنشائه سنة (١٩٤٦م) إلى حين وفاته سنة (١٩٧٥م) وكثير من نفائس مقتنيات المعهد من صيده هو رحمه الله.

الفرع الثاني
أهم موضوعات الكتاب

احتوى كتاب الدكتور صلاح الدين المنجِّد على موضوعات متعددة، تناول من خلالها نقاطاً عديدة، وأريد هنا أن ألخص أهم موضوعات الكتاب الأساسية، حتى يكون ذلك مسلكاً واضحاً لمعرفة أهمية الكتاب، التي ستأتي في الفرع القادم – إن شاء الله تعالى:

- لقد تناول الكتاب أول ما تناول المحاولات السابقة من أجل وضع قواعد لنشر النصوص، مؤكداً على أن فقدن دليل متفق عليه يرشد إلى طريقة نشر النصوص دفع بعض المؤسسات العلمية، أو اللجان، أو العلماء، إلى وضع نهجٍ لنشر بعض المخطوطات، وإنَّ من الواجب أن ننوه بهم، ونذكر لهم الفضل.. ويشيرٌ إلى أن المجمع

العلمي بدمشق هو أول من قام بوضع نهج لتحقيق النصوص، عندما أراد نشر (تاريخ دمشق) لابن عساكر.

- ثم يدخل المؤلف في الموضوعات التي تتعلق بالتحقيق حصراً، فيبدأ بموضوع (جمع النسخ وترتيبها)، ويؤكد الدكتور المنجِّد على أن جمع النسخ العديدة للمخطوط الذي يراد تحقيقه مهم للغاية، ومعرفة المخطوطات الموجودة في أماكن متفرقة يتم بالرجوع إلى كتاب (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمن.. ومن ثم اختيار النسخ التي يحتاج إليها إذا كانت متعددة، ثم تصويرها لغرض الدراسة.. أما (ترتيب النسخ) فإنَّ أحسن تعتمد للنشر كتبها المؤلف نفسه، وتسمى الأم، وتليها النسخة التي قرأها المصنف أو قرئت عليه، وأثبتت بخطه أنه قرئت عليه، ثم النسخة التي نقلت على نسخة المؤلف أو عورضت بها وقوبلت عليها، ثم نسخة كتبت في عصر المصنف عليها سماعات العلماء، ثم التي ليس عليها سماعات، ثم تليها النسخ التي كتبت بعد عصر المؤلف، ويفضل في هذه الحالة الأقدم على المتأخر.
- ثم ينتقل المؤلف ما يتعلق بتحقيق النص، ويتكلم أولاً عن (غاية التحقيق ومنهجه)، ويبين أنَّ الغاية هي تقديم نص المخطوط صحيحاً كما وضعه مؤلفه، دون شرحه، وينتقد في الوقت ذاته كثرة الناشرين الذين يثقلون الحواشي بالشروح والزيادات، من شرح الألفاظ، وترجمة الأعلام، وغيرها مما يشغل القارئ.. ويؤكد بأنَّ عمل المحقق لا يعدو أن يتوافر فيه (أولاً) التحقيق من صحة الكتاب، واسمه، ونسبته إلى مؤلفه (ثانياً) إذا كانت النسخة أماً كتبها المؤلف فتثبت كما هي (ثالثاً) إذا كان المؤلف نقل نصوصاً من مصادر ذكرها، فتعارض هذه النصوص على أصولها ويشار في الحاشية بإيجاز (رابعاً) قد لا يذكر المؤلف مصادره، فإذا عرفها المحقق وردّ كل نص إلى مصدره كان أحسن (خامساً) إذا سبق قلم المؤلف فأخطأ أثبت كما هو، ونبه عليه في الحاشية ... إلخ.
- ثم يتحدث المؤلف عن موضوع الرسم وما يتصل به، ويؤكد هنا بأنَّ الأصل أن يثبت المحقق النص كما رسمه مؤلفه، إذا كانت النسخة بخط المؤلف، غير أن الخط العربي قد تطور على مر العصور، فلا بد إذن أن نجعل النص يرسم بالرسم الذي نعرفه.
- وبعد ذلك يتحدث عن (الألفاظ المختصرة) التي ترد أحياناً في النص وتعاد كثيراً، مثل الصلاة على النبي، والترضي، والترحم، وألفاظ التحديث والأخبار، والأنباء، في إسناد الأحاديث. وكأنَّ المؤلف يرجح هنا ما جرى عليه الأقدمين من إمكانية الاختصار، وما يراه بعض المستشرقين أيضاً، يقول المنجِّد بعد كلامه عن الاختصار: ((ويرى بعض المستشرقين اتباع هذه الطريقة في اختصار الألفاظ التي تعاد كثيراً، ويمكن اتباع ذلك في اختصار أسماء المصادر التي يرجع إليها في الحواشي))(١١).
- أما موضوع شكل النص، فيؤكد الدكتور صلاح الدين المنجِّد على أنَّ الأصل إذا كان مشكولاً كله أو بعضه حوفظ عليه تماماً، وينبغي أن تشكل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وكذلك الأشعار التي تصعب قراءتها، والأمثال. وتشكل أيضاً الألفاظ التي يلتبس معناها من غير تشكيل، والأعلام الأعجمية المعربة، وهكذا.

- أما الحديث عن العنوانات، فيشير المؤلف إلى أنها تثبت بحرف أكبر من حرف النص، ويتحدث في هذا الجانب عن موضوعات متعددة، ويؤكد على أن المحافظة على تقسيم المؤلف وترتيبه واجب. أما في النصوص التي لا تقسيم لها في الأصل فيمكن تقسيمها إلى فصول لإيضاح النص، على أن يوضع بين قوسين. وفيما يتعلق بالنقط والفواصل والإشارات، فإنه يستخدمها، على أن يكون الاستخدام صحيحاً، فتوضع النقطة والفارزة وإشارة الاستفهام، والتعجب، والنقطتان كل واحدة مكانها.

الفرع الثالث

أهمية الكتاب ومعالجاته

يمتاز كتاب (قواعد تحقيق المخطوطات) للدكتور صلاح الدين المنجِّد بميزات عديدة، لعلَّ من أهمها هو تركيزه على الأمور التي تخص التحقيق، دون الدخول في بعض التفريعات التي يعدها كثير من المحققين مقدمات لعلم التحقيق، وليس عناصر أساسية فيه. ومن هنا جاء الكتاب مختصراً بحيث يمكن للمهتم الاستفادة منه، فالدكتور المنجِّد لم يخوض غمار التدوين، والخطوط، وعلم المصادر، وغير ذلك من الزوائد، يقول المنجِّد: ((ولن نتحدث هنا عن نشأة التدوين، أو علم الخطوط، أو علم المصادر، أو اصطلاحات الناسخين، أو مصطلح الحديث، وكل ذلك يساعد عرفانه على التحقيق، إذ المفروض فيمن يتصدى لنشر المخطوطات أن يلم بذلك من قبل، وسنقصر كلامنا على القواعد العلمية التي تعين المحقق على تحقيق النص وإخراجه))(١٢).

ومن مميزات الكتاب أيضاً أنه يعد مسيرة عملية لعلم التحقيق الذي يتقنه الدكتور صلاح الدين المنجِّد، الذي يعد من رواد هذا العلم والمتقدمين فيه، وصاحب القدح المعلى في نشره والاعتناء به، وأسهم في تضمين قواعد هذا العلم في تحقيقاته الكثيرة والمتنوعة، التي تعد بالعشرات، ومن هنا فإن ما جاء في هذا الكتاب يعتبر خلاصة عمل تمتد لعشرات السنين.

المبحث الثالث

بين الدكتور عبد السلام هارون

والدكتور صلاح الدين المنجِّد

المطلب الأول

أسباب الصدام بين الدكتورين

يعد الأستاذان الدكتوران عبد السلام هارون وصلاح الدين المنجِّد من عمالقة علم التحقيق، ومن الذين أسهموا بشكل واضح في تأصيل هذا العلم، وتحقيق وتدقيق معالمه بشكل واضح.. وصارا قرينان من قرناء العلم، ومن المتنافسين فيه، ومن هنا فإن من المحتمل- غالباً - أن يكون هناك كلام ونقد بين أمثال هؤلاء.. وهذا ما يسميه العلماء من أهل الجرح والتعديل بـ (الكلام بين الأقران) ويؤكدون بأنه غير مقبول على الاطلاق؛ لأنه غالباً ما يأتي بسبب النفس البشرية التي لا ينفك عنها الحسد والغيرة في بعض الأوقات، مهما كان القرناء من أهل الرفعة.

لقد وجدت بعض الصدام بين الأستاذين المذكورين، وقد اتهم بعضهم بعضاً بتهم متنوعة، وهنا أود بيان ما وجهه كل واحد للآخر:

❖ فالدكتور عبد السلام هارون انتقد الدكتور المنجِّد بأنه يعتمد على جهود المستشرقين كثيراً، في وقت يتهم فيه المنجِّد أيضاً بأن كتابه هو تلخيص لكتاب الدكتور عبد السلام هارون، يقول ناقداً: ((إنَّ المستشرقين إخواننا وشركاؤنا، ولكن ليس من الحكمة ولا الكرامة في شيء أن تكون خطانا متأثرة بخطاهم في كل أمر من أمورنا الثقافية، وأن نستعير عقولهم في صَغار الأذلاء، وقد منحنا الله القدرة وحسن الفهم والدرس لما كتب بلغتنا وبوحي نفوسنا العربية، وإن أعجب فإنه ليشتد عجبي ممن يتغنى بفضل سادته هؤلاء، وينكر فضل أخيه العربي، ثم يزعم لنفسه كتاباً يستخلص مادته وألفاظه وتنسيقه من كتابي))(١٣).

ويقول أيضاً: ((... وإن كان بعض إخواننا الدمشقيين ممن كنا نتوسم فيهم النجابة -زعم بضعف نفسه، وبما يشعر به أمثاله من ذلة علمية- أني لم أطّلع على ما كتب المستشرقون، فوضع بذلك على هامتي إكليلاً أعتز به، إذ أمكنني بعون الله وحده أن أضع علماً متكاملاً لم أسبق إليه، دون أن أتطفل على مائدة، كثيراً ما وضع فيها للعرب صحاف مسمومة، وموائد العرب حافلة بالجهود الوثيقة، والأمانة العلمية المرموقة))(١٤).

ومن هذين النصين تتضح أموراً عديدة، ويستطيع القارئ أن يلتمس منها بعض الأمور التي يمكن تلخيص أهمها بما يأتي:

(١) كره الدكتور عبد السلام هارون اعتماد الباحث على جهود المستشرقين في وقت توج فيه جهود يقدمها الباحثون العرب.

(٢) إنَّ الدكتور عبد السلام هارون يعد ممن أقام صلب هذا العلم، وساهم في تكامل هذا العلم وتأصيل أركانه، مما لم يسبقه إليه أحد.

* * *

❖ أما الدكتور صلاح الدين المنجِّد فهو الآخر لم يقصر في توجيه النقد اللاذع للأستاذ الدكتور عبد السلام هارون، وكان مما أخذه عليه أنه لم يعتمد على الجهود السابقة -بما فيها جهود المستشرقين- فضلاً عن اتهامه بعدم الوفاء، وقلة الأدب وسوء التعامل -حاشا علماءنا من ذلك- يقول المنجِّد ما نصه: ((ولا بد أن نشير هنا إلى أمر يجب التنويه به؛ فقد كنا ذكرنا في الطبعة الأولى، أنَّ من السابقين لنا في وضع قواعد النشر الدكتور محمد مندور، والأستاذ عبد السلام هارون، وأخذنا على الأستاذ هارون أنه لم يطّلع على الطرق التي وضعها المستشرقون لنشر المخطوطات، ومن المبادئ التي نلقنها تلاميذنا أنَّ على الباحث عندما يتصدى إلى بحث ما، أن يطلع على كل ما كُتب فيه، وهذا لم يفعله الأستاذ هارون، وأخذنا عليه أنه لم يميز قواعد تحقيق المخطوطات من العلوم المساعدة على التحقيق، فجاء بحثه خليطاً من كل شيء، لا منهج فيه ولا تنسيق. وقد اطلع يومئذ على ما كتبناه ووافقنا عليه، فقد كان يتردد علينا في معهد المخطوطات، فنقدم له كل عون، وكنا نوصي به خيراً لإطلاعه على الأصول العربية وتعمقه في معرفة اللغة، حتى إننا اقترحنا على وزارة الثقافة والإرشاد بالكويت، عندما كنا نشرف على (سلسلة التراث العربي) التي تصدرها، أن تَكل إليه تحقيق كتابين في السلسلة، قدمناها للقراء بأنفسنا. ثم استقلنا من معهد المخطوطات، وانقطعت الصلة بيننا، وكنا نظن أن ود الأستاذ هارون باق، لكننا فوجئنا أنه أصدر لقواعده في نشر

النصوص طبعة ثانية، وشتمنا في مقدمتها شتماً يدل على بلاهة وقلة أدب وقلة وفاء؛ لأننا أخذنا عليه عدم الإحاطة بالبحث، وفقدان المنهج العلمي عنده، ونوصي القراء أن يقرأوا ما كتبه. لقد كنا نرحب بالانتقاد، لو انتقدنا، أو نبهنا إلى خطأ وقعنا فيه، ونكون شاكرين له فضله؛ فبالنقد البريء تعرف الحقيقة، لكنه انزلق إلى ما يجب أن يترفع عنه العلماء، فالشتم سلاح المغيظ الحانق العاجز. ومثله، وهو في شيخوخته ينبغي أن يكون أنبل خلقاً وأسمى مكانة، فالله يغفر له))(١٥).

ويقول في موضع آخر: ((أما الأفراد الذين كتبوا في قواعد نشر النصوص، فنجد الدكتور محمد مندور، والأستاذ عبد السلام هارون. فقد تحدث الأول بإيجاز عن قواعد نشر النصوص الكلاسيكية، في مقالين ظهرا في مجلة الثقافة، نقد بهما قوانين الدواوين لابن مماتي، الذي نشره الدكتور عزيز سوريال عطية، وأفرد الثاني- عبد السلام هارون- كتاباً سمّاه (تحقيق النصوص ونشرها) ضمّنه محاضرات ألقاها على طلبة دار العلوم، فيها معارف كثيرة مختلفة ... وقد صدر عن هذه الموضوعات في السنوات الأخيرة بحوث أكثر عمقاً وأغزر مادة لم يفد منها المؤلف، ثم تحدث عن أصول النصوص والمكملات الحديثة وغير ذلك مما يحتاج إليه المبتدئ في النشر، ويؤخذ على المؤلف أنه لم يطّلع قط على ما كُتب في هذا الموضوع باللغات الأجنبية؛ ليكون كتابه تاماً، والنهج الذي يدعو إليه كاملاً، وأنه خلط بين قواعد تحقيق النصوص والعلوم المساعدة على التحقيق، كعلم الخطوط، أو علم المصادر، وغير ذلك، والمعروف أن هذين العلمين يدرسان دراسة طويلة على منهج علمي، ولا يمكن إيفاؤهما حقهما بصفحات))(١٦).

ويبدو أنه يمكن حصر المؤاخذات التي يأخذها المنجِّد على الأستاذ عبد السلام هارون بنقطتين، هما:

(١) عدم اطلاعه على الجهود التي قدمها المستشرقون فيما يتعلق بنشر المخطوطات، منبهاً على أن الباحث الذي يتصدى للبحث يجب عليه الاطلاع والاعتماد والإشارة إلى الجهود السابقة في هذا الشأن.

(٢) عدم تمييزه بين قواعد تحقيق المخطوطات من العلوم المساعدة على التحقيق،

مما دعا المنجِّد إلى أن يصف كتاب الأستاذ هارون بأن بحث جاء خليطاً من كل شيء، وإنه يفتقر إلى المنهج والتنسيق.

وعلى أية حال، فإنّ ما وقع بين هذين الأستاذين لا يعدو أن يكون كلاماً بين الأقران الذي يحدث غالباً، عندما تحدث نزعة علمية، أو تأثيراً نفسياً، يتخلله نوع من الغيرة والحسد، كما نبهنا على ذلك، ولذا لا ينبغي لنا إلا التسليم، وأن لا نميز أحد الشخصين على أحد؛ لأن طالب العلم مطلوب منه أن ينتفع بالفوائد والفرائد أينما وجدها، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها، ومما لا شك فيه أن كل جهد من جهود الأستاذين جدير بالعناية والفائدة.

خاصة وإننا سنتعرف في المطلب اللاحق على مميزات ما كتبه كل واحد من هذين العلمين في خدمة العلوم والمعرفة.

المطلب الثاني

مميزات وايجابيات كل واحد من الكتابين

لا شك أن ما قدمه الأستاذ عبد السلام هارون، وما قدمه بعده الدكتور صلاح الدين المنجِّد يعد جهداً مباركاً، أسهم بشكل واضح في إثراء علم تحقيق النصوص، حتى صار هذا العلم بعد تلك المحاولات، علماً مؤصلاً بأطر وضوابط ينبغي للطالب والمحقق أن يأخذ بها ولا يتجاوزها.

وإذا كانوا يقولون: ((أبى الله أن يصح إلا كتابه)) فإن الجهود البشرية لا تخلو من الهنات والهفوات، غير أن هذا لا يصادر ما تمتاز به تلك الجهود، ومن هنا فإنَّ من الممكن أن تكون هناك مميزات لكل كتاب، نجملها فيا يأتي:

أولاً: مميزات كتاب الأستاذ عبد السلام هارون:

(١) يمتاز الكتاب بكونه أول جهد عربي عالج وقوَّم موضوعات هذا العلم، فالأستاذ عبد السلام هارون طرق أبواب العلم في زمن لم يطرقها قبله أحد من الكتاب العرب، وبالتالي كان له قصب السبق في هذا النهج، حتى اعتبره من جاء بعده بأنه صاحب القدح المعلى، في فتح ما أغلق من مناهج هذا العلم ودقائقه.

(٢) إنَّ هذا الكتاب -كما أوضحنا من قبل- جاء نتيجة ممارسة عملية في العناية بهذا العلم بعد تحقيق عدد كبير من النصوص في علوم متنوعة، وبالتالي جاء الكتاب منضبطاً متزناً، أقرب ما يكون إلى الدقة والضبط، لأنه بُني على منهج عملي، وليس كغيره من المنظّرين الذي يؤلفون في علوم لا يتقنونها فعلياً.

(٣) امتاز الكتاب أيضاً بكونه أصيلاً، لم يعتمد على جهود غير العرب من السابقين، وإذا كان بعض من عاصر الأستاذ عبد السلام هارون يأخذ عليه وينتقده بسبب ذلك؛ فإنَّ التوجه الآخر يجعل مثل هذا الأمر في الاستغناء عن جهود السابقين من غير العرب ميزة.

(٤) ومما يميز الكتاب أيضاً أن كاتبه يرجح ما يراه في ثنايا صفحاته، فضلاً عن احتواء الكتاب على بعض الآراء الواضحة التي تجعل من الكتاب جهداً طيباً، يحتوي على أسلوب علمي في الترجيح والتأصيل.

ثانياً: مميزات كتاب الأستاذ صلاح الدين المنجِّد:

(١) امتاز كتاب الدكتور المنجِّد بكونه - كما قلنا سابقاً في مميزات كتاب الأستاذ هارون- بكونه جاء نتيجة ممارسة عملية لهذا الفن، الذي قضى فيه الاستاذ المنجِّد عشرات السنين، تحقيقاً وتعليقاً، وبالتالي فإنَّ هذا الجهد يعد خلاصة علمية لممارسة عملية لا ينبغي الاستهانة بها، أو مساواتها مع الدراسات النظرية التي لا تدعمها الممارسة العملية.

(٢) جاء كتاب المنجِّد مختصراً، ومقتصراً على المباحث التي تمس علم التحقيق وأصوله، دون الدخول في مباحث وموضوعات جانبية خارجية عن إطار هذا الفن، أو أنها تعتبر من الموضوعات المكملة لمنهج التحقيق، وبالتالي يمكن الاستفادة من هذا الجهد باعتباره جهداً مختصراً لا يشتت عقل الطالب الذي يبتغي الفائدة.

الخاتمة

(نتائج البحث)

(١) تعرفنا في ثنايا البحث على حياة الأستاذ عبد السلام هارون وحياته العلمية وجهوده العلمية والمعرفية في خدمة علم التحقيق، فضلاً عن تطرقنا لمناسبة تأليف الأستاذ هارون لكتابه (تحقيق النصوص ونشرها)، ومعرفة أهم موضوعات الكتاب وبسط أهم ما جاء فيه، مع التعرف على أهمية الكتاب ومعالجاته.

(٢) وبالوقت ذاته تعرفنا في ثنايا البحث أيضاً على حياة الدكتور صلاح الدين المنجِّد وحياته العلمية وجهوده العلمية في خدمة علم تحقيق النصوص، فضلاً عن تطرقنا لمناسبة تأليف المنجَّد لكتابه المسمى (قواعد تحقيق المخطوطات)، ومعرفة أهم موضوعات الكتاب وبسط أهم ما جاء فيه، مع التعرف على أهمية الكتاب ومعالجاته.

(٣) تعرفنا أيضاً على أسباب الصدام الحاصل بين الأستاذ هارون والأستاذ المنجِّد، وأوضحنا أن الصدام بين الشخصين من قبيل اللام بين الأقران الذي ينبغي إثارته، أو ترتيب بعض الأشياء عليه.

(٤) أوضحنا مميزات الكتابين، وبينا أنَّ الجهدين لا يمكن الاستغناء عن أحدهما، بل أنهما متكاملان.

الهوامش:

١- ينظر في ترجمة الدكتور عبد السلام هارون ما يأتي: المجمعيون في خمسين عاماً، محمد مهدي علام، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ومدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م)، وتتمة الإعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، وكلمة في استقبال عبد السلام هارون، محمد محي الدين عبد الحميد، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد (٢٥)، القاهرة، (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م)، والجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام، السيد الجميلي، مجلة الأزهر، الجزء العاشر، السنة الثامنة والستون، (١٤١٦هـ-١٠٩٦م).

٢- ينظر: تحقيق النصوص ونشرها، الدكتور عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، القاهرة، مكتبة السنة، (١٤١٠هـ،ص٦-٧.

٣- يقصد به كتابه (نوادر المخطوطات) ٣/١ الذي ألفه وطبعته لجنة التأليف، القاهرة، (١٩٥١م).

٤- تحقيق النصوص ونشرها، مصدر سابق، ص٦.

٥- ينظر: المصدر نفسه، مصدر سابق، ص١١-١٤.

٦- ينظر: تحقيق النصوص ونشرها، مصدر سابق، ص١٩.

٧- ينظر: تحقيق النصوص ونشرها، مصدر سابق، ص٧٢.

٨- ينظر: المصدر نفسه، ص٧٦.

٩- ينظر: المصدر السابق، ص٧٧.
١٠- كلمة المخطوطات فيها نظر؛ لأن المخطوطة لا تحقق وإنما الذي يحقق هو النص، ولكن ربما جازت تلك التسمية تجوزاً بمعنى أن النص الذي يراد تحقيقه هو المؤلفات المخطوطة التي يراد إخراجها إلى
١١- قواعد تحقيق المخطوطات، ص٢١.
١٢- قواعد تحقيق المخطوطات، ص١١.
١٣- مقدمة الطبعة الثانية من كتاب (تحقيق النصوص ونشرها)، ص٨.
١٤- المصدر نفسه ص٨.
١٥- قواعد تحقيق المخطوطات، ص٤.
١٦- المصدر نفسه، ص١٠-١١.

المصادر والمراجع

اعتمدت في صياغة البحث على المصادر الآتية، مرتبة حسب حروف الهجاء:

- تتمة الإعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
- تحقيق النصوص ونشرها، الدكتور عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، مكتبة السنة، القاهرة، (1410هـ).
- الجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام، السيد الجميلي، مجلة الأزهر، الجزء العاشر، السنة الثامنة والستون، (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
- قواعد تحقيق المخطوطات، للدكتور صلاح الدين المنجِّد، الطبعة العربية الخامسة، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، (1976م).
- كلمة في استقبال عبد السلام هارون، محمد محيي الدين عبد الحميد، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد(25) ، القاهرة، (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م).
- المجمعيون في خمسين عاماً، محمد مهدي علام، مطبوعات مجمع اللغة العربية، القاهرة، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).